

خبير إعلامي مصري لـ«السفير»: وزراء الإعلام العرب تخطوا صلاحياتهم

السفير 19 /02/09

زينب عَصَن

القاهرة :

لا يخفي وزير الإعلام المصري أنس الفقي دعمه لوثيقة» مبادئ تنظيم البث الفضائي في المنطقة العربية» التي وافق عليها وزراء الإعلام العرب في اجتماعهم الثلاثاء الماضي في القاهرة. فهو «أم الصبي»، أو أبوه ما دامت السعودية أمه. والدولتان أشرفنا على وضع المشروع، قبل أن يتبناه وزراء الإعلام العرب مع تحفظ قطري. فالفقي يرى أن «بعض الفضائيات خرجت عن مسارها الصحيح (..) وهناك تجاوزات حدثت وتحدثت على مدار الساعة (..) فمسؤوليتنا لم تعد مقصورة على إعلام المجتمع وإنما حمايته مما قد يتعرض له من مؤثرات دخيلة» !! إعلان النوايا الإيجابي» هذا ردت عليه المعارضة المصرية من خلال صحفها باتهام الوزراء العرب بالسعي إلى كم أفواه المعارضين في دولهم لا سيما أن الوثيقة تتضمن بنودا بتعابير فضفاضة مثل «حماية المصالح العليا للدول العربية» و«احترام خصوصية الأفراد والامتناع عن انتهاكها بأي صورة». و«الامتناع عن بث كل ما يسيء إلى الرموز الدينية الخاصة بكل فئة». حيث يبدو غامضا معنى تعبير «الرموز» أو «حماية المصالح العليا للدول العربية» وما تستهدفه بالنسبة لصحافي يؤدي واجبه الإعلامي.

وبعيدا عن التجاذبات بين الحكومات والمعارضة، يبدو أن هذه الوثيقة ليست ما يطمح إليه خبراء الإعلام من أجل تنظيم بث الفضائيات نظرا لاحتوائها على بنود تتخطى في الكثير منها صلاحيات وزارات الإعلام بل وتتعدى على صلاحيات فئات مختلفة داخل المشهد الإعلامي العربي. فمع اعتراف خبير الإعلام المصري ياسر عبد العزيز بوجود «ضرورة ملحة لتنظيم البث الفضائي في العالم العربي، بعدما اختلط الحابل بالنابل ويات هناك فضائيات لبعض القبائل حتى»، فإن توقعاته خابت وظهر له «أن التنظيم في حاجة إلى تنظيم» وأن «الوثيقة سياسية بامتياز، ويعتريها كثير من الخلط والخلل».

إذ يرى عبد العزيز في حديث «للسفير» أن «الوثيقة خلطت حقيقة بين ثلاثة أنواع من الوثائق التنظيمية للإعلام والتي تتوزع على ثلاثة مستويات :

- 1 وثيقة إطارية ترسي القواعد الإجرائية ذات الطابع القانوني لإطلاق فضائية، وممارسة عملها، وفق منظومة قانونية وإدارية تضعها سلطات تنظيم البث ووزارات الإعلام العربية .
- 2 ميثاق شرف عربي غير المعمول به حاليا والذي يعود إلى الستينيات من القرن الماضي لم يعد يناسب عصرنا الحالي تضعه الجماعات أو الهيئات المهنية العربية .
- 3 مدونات السلوك والقواعد والإرشادات التحريرية ذات الطبيعة المهنية الصرفة تضعها كل مؤسسة إعلامية .»

غير أن ما حصل بحسب عبد العزيز هو أن وزراء الإعلام العرب «قاموا من خلال الوثيقة المطروحة بالتدخل على المستويات الثلاثة متجاوزين صلاحياتهم ومتعدين على صلاحيات الهيئات المهنية والمؤسسات الإعلامية بعد أن ضمنوها بنودا هي بمثابة ميثاق شرف وتدخل في السياسات التحريرية للمؤسسات. ومثال على ذلك ما تضمنته الوثيقة من بند «عدم التجاوز على الحرية الشخصية» وهي بحسب عبد العزيز «قاعدة لم تعرفها أية مدونة سلوك في العالم. فجميع مدونات السلوك أو مواثيق الشرف أو أدلة الإرشادات التحريرية في أي مجتمع متقدم تنص بالقطع على «جواز التعرض للحياة الشخصية للأفراد في حال تقاطعت بوضوح مع المصلحة العامة، وفي حال نشأ اعتبار موضوعي واضح للتجاوز على حرمة الحياة الشخصية، بما في ذلك ما يتعلق بقضايا الفساد والاستغلال وسوء التصرف في الموارد» .

وبقدر ما كانت الحاجة إلى الوثيقة ماسة وعاجلة إلا أن الحاجة إلى إعادة النظر فيها تبدو أكثر إلحاحاً بحسب عبد العزيز. وهو اعتبر أن هذه الوثيقة «سياسية بامتياز. فالدول العربية المصنفة «معتدلة» مثل مصر والمملكة العربية السعودية والأردن كان لديها هاجسان: الأول هو استحفاق تنظيمي طبيعي فرضه النمو المتسارع لهذا القطاع مع وصول حجم

الاستثمارات فيه إلى مئة مليون دولار أميركي خلال السنوات الخمس الماضية؛ والثاني سياسي ظهر على عدة مستويات مع دأب بعض الفضائيات العربية على استخدام الأدوات المتاحة لها لتسليط الضوء على قضايا بعينها تسبب إحراجا لحكومات أو تحريضا لفئات مما يؤثر على الأمن القومي لهذه الدول، في مقابل التغاضي عن قضايا دول أخرى، ما يجعل هذا النص الفصفاض للوثيقة قيذا معنويا لدولة ما تحتضن قناة لا ترضى عنها أنظمة أخرى». لكن هل تهدف الوثيقة بشكلها الراهن إحداث تأثير في الممارسة الإعلامية لغرض تهدئة في تغطية بعض هذه القضايا؟ جواب عبد العزيز هو الإيجاب لكنه لا يرى أن الوثيقة ستحقق هذا الهدف «لأن ليس بها آليات تطبيقية بعد» وإن كانت برأيه «ستحقق أثرا معنويا على الصحفي الذي قد «يهتز» قليلا فتصبح الوثيقة هاجسا لديه تدفعه ربما إلى مزيد من الرقابة الذاتية. كما ستحدث أثرا سياسيا لأنها ستنشئ حقا لمطالبة أو ملاحقة بعض الفضائيات وإن كانت الدول العربية بغالبيتها لا تفتقر أصلا لترسانة من القوانين تلاحق من خلالها الصحفيين في قضايا السب والقذف وغيرها.»